ASJP
Algerian Scientific Journal Platform
مجلة التواصلية
ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537
HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد: 10 العدد: 02 (2024) ص 81 / ص 100

الاتساق في كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع

استناداً إلى نظرية الاتساق لمايكل هاليداي ورقية حسن

Consistency in the book Al-Adab Al-Saghir and Al-Adab Al-Kabir by Ibn Al-Muqaffa based on the theory of consistency by Michael Halliday and Ruqaiya Hasan

نعيم عموري*	محمد حمادي
جامعة شهيد تشمران اهواز، اهوا،(ايران)	جامعة شهيد تشمران اهواز، اهوا، (ايران)
n.amouri@scu.ac.ir	m.h.translator200@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/04/02
تاريخ القبول:
2024/05/19

الكلمات المفتاحية:
- ✓ اتساق
- ✓ النص
- ✓ الادب الصغير والكبير
- ✓ ابن المقفع

الملخص

لقد حظيت دراسات علم اللغة في العصر الحديث بإهتمام بالغ في الساحة النقدية وذلك بنقدها ودراستها للنصوص الأدبية دراسة منهجية موضوعية، وقد تعددت النظريات والأساليب المتنوعة في علم اللغة، ومنها مظرية الإتساق لمايكل هاليداي ورقية حسن؛ حيث أصبحت من أبرز النظريات المطروحة في علم اللغة في السنوات الأخيرة، وعليه يسعى هذا البحث إلى دارسة كتاب «الأدب الصغير والأدب الكبير» لإبن المقفع دراسة موضوعية منهجية بناء على المنهج الوصفي التحليلي المعتمد في البحوث الأكاديمية، وقد آثرنا الإرتكاز على نظرية الإتساق لمايكل هاليداي ورقية حسن في هذا البحث متجهين إلى بيان أهم العناصر اللغوية في النص المذكور إلى جانب بيان علاقتها والنسق الموجود بينها في النص.

كما وتوصل البحث إلى ناتج غزير يبين العناصر اللغوية التي قام عليها النص وساعدت في خلقه وتعد الإحالة، والإستبدال، والحذف، والتكرار، والتقارب الدلالي من أبرز هذه الركائز الألغوية الأدبية وتبين أن ثمة رابط بين كل من هذه العناصر وأن مجموعاتها متناسقة ومتنامية الأطراف و هي ذا صلة ببعضها البعض بحيث ساعدت في خلق نظام متكامل النسق والبناء.

Abstract :

Article info

*المؤلف المسؤول.نعيم عموري n.amouri@scu.ac.ir

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

The Modern linguistics studies have received great attention in the critical arena due to their systematic and objective study of literary texts. Various linguistic theories and methods have emerged, including Michael Halliday and Ruqaiya Hasan's theory of cohesion, which has become one of the most prominent linguistic theories in recent years. Accordingly, this research aims to study the book "Al-Adab al-Saghir wa al-Adab al-Kabir" by Ibn al-Muqaffa' through a systematic and objective study based on the descriptive-analytical approach adopted in academic research. We have chosen to focus on Michael Halliday and Ruqaiya Hasan's theory of cohesion in this research, aiming to identify the most important linguistic elements in the mentioned text and their relationship and coherence within the text.

The research also yielded a rich output that shows the linguistic elements on which the text is based and that helped in its creation. Reference, substitution, deletion, repetition, and semantic proximity are among the most prominent of these literary linguistic pillars. It is clear that there is a link between each of these elements, and that their groups are coherent and growing in their parts, and they are related to each other in a way that has helped to create a system that is integrated in terms of its style and structure.

Received 20/04/2024

Accepted 19/05/2024

Keywords:

- ✓ Consistency
- ✓ Text
- ✓ Little Literature and Great Literature
- ✓ Ibn al-Muqaffa

مقدّمة

تشكل قضية تحليل النصوص المختلفة من ناحية التناسب بين أجزائها المتنوعة من القضايا الهامة التي تحظى بالدراسة في مجال علم اللغة والنقد الأدبي. وبلغت أهمية مبحث الاتساق مبلغًا طُرحت فيه النظريات النقدية الكثيرة في هذا المجال ومن هذه النظريات هي نظرية مايكل هاليداي ورقية حسن.

إنَّ الاتساق في نظرية السياق اللغوي يشير إلى التوافق والتناسب في البنية اللغوية والمعنوية للنص، حيث يساعد المتحدث في إنشاء وتحقيق الترابط في كل جملة أو بين الجمل. ببساطة، الاتساق يشير إلى العلاقات البنائية والمفرداتية في النص. ويمكن أن يتم تحقيق هذا النوع من العلاقات بين الجمل أو بين أجزاء مختلفة من جملة واحدة. ويشمل الاتساق جميع العلاقات التي يكون فيها عنصرا من الجملة مرتبطًا بعناصر الجملات السابقة أو التالية في تفاعل وتواصل. بصورة أكثر دقة، يشير الاتساق إلى العلاقات الداخلية والخارجية المسيطرة على الجمل في نص معين. ويجب ملاحظة أن التغيير في الاتساق سيؤدي بالتأكيد إلى تغيير في بنية النص. ونظرية

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التماسك النصي في الواقع جزء من نظرية تحليل الخطاب أو تحليل الكلام، وفقًا لـ جرين ولابيهان، يصبح النص خطابا عندما يكون له كل متماسك، حتى لو كان مكونًا من جزء صغير من اللغة. ويعتقد جوتوينسكي أنَّ "النصوص قد يكون لها اتساق أقل أو أقوى؛ ولكن لا يوجد نص بدون اتساق على الإطلاق". يجب الإشارة إلى أنَّ الاتساق ليس علاقة بنية أساسية، بل هو علاقة ذات معنى؛ ولكنه يتحقق من خلال نظام النحو والمفردات والروابط الدلالية.[1]

وحول أهمية وضرورة التطرق لموضوع الاتساق في المقال الحالي ينبغي القول؛ بأن كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير يعد أثرًا بالغ الأهمية ويرجع إلى الفترة القديمة للأدب العربي، ومن هذا المنطلق تكمن الضرورة في دراسته من منظار الاتساق، فعلاوةً على اثبات أنَّ هذا النص يتمتع بالاتساق اللفظي والمعنوي بين أجزائه، يتعين أن نتطرق إلى حقيقة أنَّ النظريات الأدبية الجديدة والمعاصرة تتمتع بإمكانية التطبيق على النصوص القديمة أيضًا. ولهذا السبب وقع الاختيار على الكتاب المذكور لجهة دراسته من ناحية الاتساق بالارتكاز على نظرية مايكل هاليداي ورقية حسن.

وتمثل أسلوب العمل في هذا البحث على الشكل التالي، حيث جرى في البداية طرح عموميات حول نظرية الاتساق لمايكل هاليداي و رقية حسن، ومن ثم طُرح تعريف مقتضب حول كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير، وفي نهاية المطاف ذُكرت عناصر مختلفة أفضت إلى اتساق النص من خلال وجهة نظر مايكل هاليداي و رقية حسن وكذلك نماذج متعددة لهذه العناصر من الكتاب الخاضع للبحث، وقد جرى تحليلها بدقة وعناية أيضا.

أسئلة البحث

يحاول البحث الحالي أن يجيب على السؤالين التاليين:

1- ما هي أهم العناصر التي تفضي إلى الاتساق في كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير؟

2- كيف يجري تقييم دور الاتساق اللغوي في هذا الكتاب في نقل معانيه ومفاهيمه؟

خلفية البحث

لم يكتب أي بحث يتمحور حول دراسة نظرية الاتساق في الآثار والمؤلفات المرتبطة بالعصر العباسي حتى الآن، وهذا المقال لكونه يتناول أحد أهم الكتب المرتبطة بهذا العصر، فهو يعد مقالًا جديدًا من نوعه، حيث تعد مقولة التناسب واتساق النصوص مسألة حديثه في النقد الأدبي، و لم تشبع هذه المواضيع بحثا من قبل الدارسين والمعنيين بالدراسات اللغوية والنقدية وفيما يلي سنشير إلى بعض من هذه البحوث والدراسات:

[1]. نيازي، شهريار و زينب قاسمي أصل، (2018م)، ص60.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1- مقالة "عوامل الاتساق في سورة الزلزلة على أساس نظرية هاليدي و حسن" تأليف: أحمد پاشازانوس ومريم نبيپور (2017). في هذه المقالة، قام المؤلفان بدراسة نظم وتماسك سورة الزلزلة، وخلصوا إلى أن الاتساق في هذه السورة موجود على ثلاثة مستويات: المستوى المعجمي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي. وعلى المستوى المعجمي، فإن عنصر التكرار هو الأكثر شيوعًا، وعلى المستوى النحوي، فإن مسألة الإحالة تُعد الأكثر شيوعًا في النص.

2- مقالة "الاتساق والانسجام في خطبة القاصعة للإمام علي" تأليف: أمينة مقرع، وسواد مراد، وثليثة بليردوح (2017). في هذه المقالة، قام المؤلفون بدراسة خطبة القاصعة للإمام علي، وخلصوا إلى أن استخدام الضمير، واسم الإشارة، وتكرار الكلمات والعبارات، والتضاد بين الكلمات تكون أهم عناصر الاتساق في هذه الخطبة.

3- مقالة "مظاهر الاتساق في نهج البلاغة من منظور النحو الوظيفي" تأليف: مريم جليليان (2018). في هذه المقالة، قامت الباحثة بدراسة نهج البلاغة من منظور الاتساق، وخلصت إلى أن الاتساق في هذا الكتاب واضح وبارز، ويعود ذلك إلى ارتباط المكونات وارتباط التراكيب، ودلالات الكلمات. ومن بين هذه العناصر، فإن الإحالة إلى الضمير، وتكرار اللفظ، والتضاد والتوازي هي الأكثر أهمية في خلق الاتساق في هذا الكتاب.

مقالة "كاربست نظريه انسجام متن در سوره مباركه حجرات" تـأليف: مـريم طاووسـى وأحمـد زارع زردينـي (2021). فـي هـذه المقالـة، قـام المؤلفـان بدراسـة الأدوات التـي أدت إلـى خلـق الاتسـاق فـي سـورة الحجـرات، وخلصوا إلى أن العنصر المعجمي هو العنصـر الأكثـر أهميـة فـي الاتسـاق لهـذه السـورة، حيـث أن كلمـة "الله" وكلمة "رسول" هي الأكثر شيوعًا في هذه السورة.

نظرية الاتساق عند مايكل هاليداي و رقية حسن

المقصود من الاتساق في النقد الأدبي هو «الارتباط القوي بين الأجزاء المكونة للنص والذي يشير بدوره إلى الروابط المعنوية القائمة بين هذه الأجزاء. ويجدر بالذكر أنه لدراسة اتساق نصٍ ما لا مندوحة لنا سوى أن نتناول بالدراسة الارتباط اللفظي بين العبارات المختلفة فيه».[1]

ذُكرت في هذه النظرية معايير مختلفة لقياس معدل الاتساق الموجود في النصوص المختلفة، حيث أنه بوسع النقاد بعد الحصول على نماذج متعددة لهذه المعايير من النصوص المستهدفة، اكتشاف وتحديد معدل الاتساق الموجود فيها، وأن يدركوا القيمة البنيوية والمضمونية لهذا النص أكثر من أي وقت مضى.

[1]. خطابي، محمّد، (1991م)، ص 5.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

عرض العناصر المؤثرة في خلق الاتساق في نظرية هاليداي وحسن

جرى في التتمة الإشارة إلى أهم العناصر والمكونات التي تحفل بالاهتمام في هذه النظرية ودراستها، ليُصار بواسطتها إلى تقييم اتساق النصوص المختلفة.

1- الإحالة

الإحالة في نظرية الاتساق لمايكل هاليدي ورقية حسن تشير إلى العملية التي يتم فيها استخدام اللغة للرجوع إلى مفاهيم أو خلفيات أو ثقافة مشتركة بين المتحدث والمستمع. يعتمد مفهوم الإحالة على فكرة أن المعنى يتم بناؤه وفهمه من خلال التأمل في السياق الأوسع الذي ينشأ فيه الحديث، بما في ذلك العوامل الاجتماعية والثقافية واللغوية.

2- الجناس

تتمثل إحدى القضايا التي ينبغي الإشارة إليها أثناء دراسة القيمة الموسيقية للكلمات، في أن المفردات المسجعة والمتناغمة تُحسب في زمرة محسنات الكلام والعناصر التي تفضي إلى الاتساق في النص فقط عندما تمتلك قيمة دلالية ومعنائية مقبولة.[1]

3- السجع

يعد السجع أحد عوامل خلق الموسيقى في الشعر والنثر والذي يبعث على جمال الكلام واتساقه. إذ تكمن جمالية السجع في أن تمتلك الكلمات المسجوعة في ذروة الاختلاف وحدة خاصة مع بعضها، وأن يظفر المرء على الدوام من خلال تلقي وخلق الوحدة في عين الكثرة بمتعة خاصة.[2]

وتكمن القيمة الموسيقية للسجع في أن ينبري المتحدث من خلال الإفادة منها إلى خلق صور أدبية بارزة في كلامه، ويهيئ الأجواء لاتساق النص عبر استخدام الأصوات وتأثيراتها في النص الذي يرتبط به القسم الأكبر من القيمة الموسيقية للكلام.

[1]. ناظم، حسن، (2002م)، ص 97.
[2]. وحيديان كامياز، تقي، (2006م)، ص 37.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

4- التكرار

يعرفه مايكل هاليداي ورقية حسن: «بأنَّه ذلك الربط الذي يحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة إلى عنصر آخر»[1] ويعد عنصر التكرار أحد أهم العناصر المساهمة في تبلور اتساق النص؛ بحيث أنه عندما يتكرر الأسلوب البياني لأحد الأدباء ففضلًا عن انسيابه على لسانه، يغدو مَلَكَةً راسخة في عقل المتلقي (القارئ أو المستمع إلى النص) حينئذ يمكن القول إن اتساق النص قد تبلور.[2]

«يعتقد بعض النقاد أنه يمكن إيجاد الاتساق من خلال التركيز على التكرارات والتناقضات الموجودة في نصه. كما يعتقد أنه بالنظر إلى الوزن والموسيقى وكذلك تناغم الكلمات والتراكيب مع بعضها والدور الذي تضطلع به في إيصال المعنى والهدف الذي ينشده صاحب النص يمكن تحديد اتساق النص بشكل جيد».[3]

باختصار يتعين القول إن «عنصر التكرار يعكس الحالات النفسية عند مستعمله والتي تأتي تأكيدًا على حالات مختلفة بما في ذلك الفرح والحيرة والحزن والخوف والاحساس بالخطر وغيرها. يُستخدم أسلوب التكرار طورًا بغية بيان أهمية زمنٍ ما وتعميمه على مختلف الفترات الزمنية، وأحيانًا من أجل التأكيد على وجهة نظر خاصة أو حادثة ما أو إجراء خاص؛ وبمعزل عن هذه المواطن التي تشير كلها إلى القيمة المعنوية للتكرار، يضطلع عنصر التكرار في بعض المواطن بدور هام للغاية على مستوى موسيقى الكلام وما يليه من الاتساق الموجود فيه».[4]

ناهيك عن أن التكرار لا يقتصر فقط على بيان اللفظ والصوت ثانية وثالثةً – بل أصبح سببًا في خلق تأثير نفسي خاص على قارئ النص، ويعكس موقف الشاعر حول مختلف القضايا ويميط اللثام عن الأهمية التي يوليها الشاعر لوجهة النظر أو الإحساس الخاص[5]. ومن جملة وظائف هذا الأسلوب الأدبي يمكن الإشارة إلى التحفيز والترغيب والتهديد والإعجاب وكذلك التقرير وتثبيت وجهة نظر خاصة.[6]

5- التقديم والتأخير

يُعد تقديم وتأخير أجزاء الجملة في الوهلة الأولى ظاهرة لغوية يجري دراستها في علم النحو، وفي الوهلة الثانية تُطرح في نطاق التحليل الأدبي للكلام حيث تظهر عن طريقها المعاني الثانوية لتقديم وتأخير الأجزاء.

6- التقارب الدلالي

---

[1]. نيازي، شهريار و زينب قاسمي أصل، (2018م)، ص 63.
[2]. النجّار، نادية رمضان، (2013م)، ص 142-143.
[3]. شريم، جوزيف ميشال، (1984م)، ص 37.
[4]. ابنيان، محمّد وسهيل خصاونة وفرحان القضاة، (2011م)، ص 266.
[5]. ابن الأثير، (2009م)، ص 11.
[6]. أحمد بدوي، أحمد، (1996م)، ص 266.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يقصد بالتقارب الدلالي الترادف عند القدامى، وهو التطابق التام بين المترادفات في المعنى والاستعمال. وهو أيضا العلاقة الدلالية التي تربط بين المفردات - اثنين فأكثر - للدلالة على شيء واحد باعتبار واحد[1] ، وقد اهتم بهذا النوع من المفردات كثير من اللغويين العرب القدامى، فعرفه سيبويه: قائلا اختلاف اللفظين والمعنى واحد".[2] ومن خلال التعاريف أعلاه يتضح لنا أنَّ التقارب الدلالي يُساعد في ربط الكلمات وربط معانيها الجزئية، مما يُؤدي إلى المزيد من الاتساق في النص.

7- الحذف

الحذف – وفقًا لهاليدي ورقية حسن – يتأتى من خلال جمل أو مقطوعات لغوية أو عناصر تستدعي بتركيبها الخاص عبارات أو عناصر سابقة كعنصر مفترض.[3]

8- الاستبدال

إن الاستبدال «عملية تتم داخل النص، وإنَّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر»،[4] كما أنَّه أداة أساسية تعتمد في اتساق النص.[5]

9- مراعاة النظير

مراعاة النظير، وهي: "أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، بغير تضاد بينهما."[6] إنَّ إيجاد كلمات متناسبة مع بضعها البعض من حيث الدلالة، ليست أمرًا صعبًا، وهذا الأمر يضطلع بدور كبير في إظهار وتحديد التناسب بين أجزاء الكلام، وفضلًا عن إبراز القوة الأدبية للشاعر أو الكاتب يساعد القارئ أيضًا في امتلاك فهم أمثل وأكمل للنص برمته.

سنُقدم في الجزء التالي من المقال، إطارًا تحليليًا لمفهوم عناصر الاتساق، وسنُعرف أيضًا بعض المظاهر التي تُساهم في تحقيق الاتساق، ونُقدم بعض الأمثلة على تطبيقاته العملية في نص كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير:

الإحالة

---

1. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (1998م)، ص40.
2. سيبوية، الكتاب، (1973م)، ص 24.
3. Halliday & Hasan, (1976), Cohesion in English, London, Longman.
4. عفيفي، أحمد، (2001م)، ص 124.
5. الفقي، صبحي إبراهيم، (2000م)، ص 114-115.
6. الجناجي، حسن بن إسماعيل، (1981م)، ص 184.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تعد الإحالة إلى الضمير من المسائل التي تخلق التماسك في النص، لأنه كلما كان لظاهرة ما أو لشخص ما دورا محوريا في النص كلما ذكر في النص مرات عديدة، وتظهر هذه القضية أيضًا في نص كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع؛ على سبيل المثال في العبارة التالية: «**اعلم أن من عدوك من يعمل في هلاكك، ومنهم من يعمل في مصالحتك، ومنهم من يعمل في البعد منك. فاعرفهم على منازلهم**»[1]

نلاحظ أنَّ ضمير "هم" قد تكرر عدة مرات ومرجعه هو كلمة "عدو" في جميع الحالات. ولو دققنا النظر لوجدنا أن هذه العبارة جاءت تعقيبًا على شرح أحوال الأعداء وسبل التغلب عليهم. ولذلك فإنَّ هذا يعني أنَّ إحالة الضمير إلى مفردة "العدو" تظهر التماسك اللفظي والروحي في هذه العبارة. وفي الموضوع التالي الذي يدور حول مذمة الحب الغير أخلاقي للنساء، نجد أنَّ الضمير "ها" يعود باستمرار إلى كلمة "الأمور".

«**اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأقتلها للعقل، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار، الغرام بالنساء**».[2] وبما أنَّ المؤلف يقصد منع الناس على وجه الخصوص من المجون والحب غير الأخلاقي تجاه النساء، فإننا نرى أنَّ هذه الإحالة تتكرر وأنَّ التماسك والترابط بين الجمل والتعابير في هذا النص قد تم بشكل جيد.

وفي الموضوع التالي الذي يتمحور حول أهمية أن يكون الشخص العاقل حريصًا على مراقبة وتقدير صفات الخير والجود في الناس وأن يحافظ عليها، بنفس الطريقة التي يعمل بها على إصلاح نقاط الضعف والسلبيات في نفسه وغيره، نرى أن الضمير "ها" تتم إحالته عدة مرات إلى كلمة "محاسن".

«**وعلى العاقل أن يتفقّد محاسن النّاس ويحفظَها على نفسه، ويتعهّدها بذلك مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوئ**».[3] هنا نجد أنَّه بالإضافة إلى التأكيد على الأشياء الجيدة، يظهر السطر أعلاه أيضًا أنَّ الاتساق بين الكلمات والمعاني قد تم تأسيسه جيدًا في هذا النص.

ويستخدم مؤلف الكتاب ضمير "هم" عدة مرات في السطر التالي والذي يتحدث فيه عن أصناف البشر، ومرجع الضمير هنا في جميع الحالات هو كلمة "الناس"، حيث يقول: «**النّاس إلّا قليلًا ممن عصم الله، مدخولون في أمورهم: فقائلُهم باغٍ، وسامعُهم عيّابٌ، وسائلُهم متعنّتٌ، ومُجيبُهم متكلّفٌ، وواعظُهم غيرُ محقٍّ لقوله بالفعل، وموعوظُهم غيرُ سليمٍ من الاستخفاف، والأمينُ منهم غير متحفّظٍ من إتيان الخيانة**».[4]

وعندما نتأمل هذه السطور ندرك أنَّ ذكر هذا الضمير عدة مرات يشير بوضوح إلى أن كل قسم من هذه الأقسام يتعلق بصفات شرائح مختلفة من الناس. ونتيجة لذلك يجب على الإنسان أن يكون يقظًا جدًا وأن يعرف جميع أنواع الناس حتى لا يخطئ في الحياة أو ينخدع وأن يعرف كيف يتعامل مع كل فئة من الناس.

---

1. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 104-105.
2. ا ابن المقفّع، (د.ت)، ص 108
3. المصدر السابق، ص 149.
4. المصدر السابق، ص 162.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وفي جزء آخر من هذا الكتاب نرى أنَّ المؤلف يتحدث عن الإنسان الحكيم ويطرح جوانب مختلفة من شخصيته وسلوكياته المختلفة: «**ممّا يدلُ على علمِ العالمِ معرفتهُ ما يدركُ من الأمورِ وإمساكه عما لا يدركُ وتزيينهُ نفسهُ بالمكارم، وظهورُ علمهِ للناسِ من غير أن يظهر منهُ فخر ولا عجب، ومعرفتهُ زمانهُ الذي هو فيه، وبصرهُ بالناسِ، وأخذُهُ بالقسطِ، وإرشادهُ المسترشد، وحسن مخالقتهِ خُلطاءه، وتسويتهُ بين قلبهِ ولسانهِ، وتحريه العدل في كل أمرٍ، ورحب ذرعه فيما نابهُ، واحتجاجُه بالحججِ فيما عمل، وحسنُ تبصيرهِ**».[1] ويشير النص المكتوب بشأن تقديم الإنسان العالم إلى أنَّ الضمير يعود باستمرار إلى العالم وتكرار هذه الإحالة يدل على الأهمية التي يقرها المؤلف بالنسبة للإنسان العالم وأنَّ العالم له شخصية شاملة، وكل سلوك وكلام وفعل يبدر منه هو لهدف محدد، وله شخصية بناءة كاملة في مجموعها.

إذا نظرنا إلى الضمائر من زاوية الاتساق، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، والمخاطب وهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي ولا تصبح إحالة داخل النص، أي اتساقية، إلا في الكلام المستشهد به، أو في الخطابات المكتوبة المتنوعة؛ ومن ضمنها الخطاب السردي.[2]

الجناس

يعد استخدام الكلمات والألفاظ المتجانسة من الأمور التي تؤدي إلى خلق التماسك في الكلام، لأن اللحن الناتج عن الجناس في الكلام يقيم التوازن بين الكلمة والمعنى. ومن أمثلة الجناس في هذا الكتاب قول المؤلف: «**يا طالب الأدب إن كنت نوع العلم تريد، فاعرف الأصول والفصول**».[3] نرى في هذه العبارة أنه هناك جناس بين كلمتي الأصول والفصول، وهذا الأمر يثبّت لحن الكلام في ذهن القارئ ويجعله يدرك معنى الكلام. وفي إطار استخدام الجناس، يقول في موضع آخر: «**إن قدرت على الرفق واللطف في المطلب، والعلم بوجوه المطالب، فهو أفضل**».[4] هناك جناس في هذه العبارة بين الكلمتين "مطلب ومطالب" ويعود سبب هذه الجناس للإختلاف في عدد الحروف، وأيضا هناك مثال آخر على الجناس في العبارة التالية: «**لا تكونن نزر الكلام والسلام، ولا تبلغن بهما إفراط الهشاشة والبشاشة**».[5] في هذه العبارة نرى أنَّ هناك جناس بين كلمتي "الكلام والسلام"، وكذلك كلمتي "الهشاشة والبشاشة"، وبما أنَّ المؤلف قصد ملاحظة الملاءمة في كلامه، فقد اختار كلمات ذات موسيقى عذبة لجذب انتباه القارئ إلى معناها ومضمونها.

---

[1]. المصدر السابق، ص 174.
[2]. خطابي، محمّد، (1991م)، ص 18.
[3]. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 23.
[4]. المصدر السابق، ص 24.
[5]. المصدر السابق، ص 38.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وهناك أيضا استخدام آخر للجناس حيث يتمثل في قول المؤلف: «**لأن الأنسة روح للقلوب، وأن الوحشة روع عليها**».[1] في هذه العبارة يوجد بين كلمتي روح وروع جناس، وهذا سببه اختلاف الحرف الأخير منهما، حيث يقصد المؤلف لفت انتباه القارئ إلى الموسيقى ومن ثم معنى هاتين الكلمتين، ليلفت انتباهه إلى المعنى العام للكلام، وهو ما يدور حول أهمية الأنس والمودة، أو الخوف أيضًا، وبهذه الطريقة يحافظ على ملاءمة كلامه.

وفي موضع آخر نرى أن هناك جناس بين الكلمتين: المعاش والمعاد. «**اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا... ومعونة على خير المعاش والمعاد**».[2]

وبعد دراسة العبارة بشكل كامل، والتي تحتوي على هاتين الكلمتين المتجانستين، ندرك أن المؤلف ينوي لفت انتباه القارئ إلى القضية المهمة المتعلقة بالحياة الدنيا والآخرة، و يضمن بتوظيف موسيقى الكلمات تماسك النص واتساقه.

كما وقد قال عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد «يمكن فهم القيمة الفنية للجناس فقط بمساعدة الحمل الدلالي للمفردات المتجانسة».[3] وقال أيضًا في موضع آخر «ليس ثمة جناس مقبول ولا سجع مرغوب إلا عندما يكونان في خدمة معنى النص ومقصده، ويجعلها المتلكم أداة لجهة نقل أفكاره وأحاسيسه».[4]

السجع

إنَّ عنصر السجع هو أحد العناصر التي ساعد المؤلف على خلق التماسك في نصه. ومن بين العبارات التي يمكن أن نجد فيها مثالًا على السجع هي كالآتي:

«**إنا وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجسامًا، وأوفر مع أجسامهم أحلامًا، وأشد قوة، وأحسن بقوتهم للأمور إتقانًا، وأطول أعمارًا، وأفضل بأعمارهم للأشياء اختبارًا**».[5]

في المثال المذكور أعلاه، الكلمات التي تم تحديدها من خلال رسم خط تحتها، يوجد سجع بينها والكلمات التي تحتها خطين أيضا يوجد سجع بينها. وقد حاول المؤلف توفير التماسك اللفظي والروحي للكلمات من خلال الموسيقى الموجودة فيها. وفي مكان آخر نرى استخدام عنصر السجع، حيث يقول المؤلف:

«**ووجدناهم لم يرضوا بما فازوا به من الفضل الذي قسم لأنفسهم حتى أشركونا معهم في ما أدركوا من علم الأولى والآخرة، فكتبوا به الكتب الباقية**».[6] في هذه العبارات، فإنَّ الكلمات التي تحتها خط، يوجد سجع بينها، والكلمات التي تحتها خطين أيضا يوجد سجع بينها. وهنا يقصد المؤلف لفت انتباه القارئ إلى المعنى والمفهوم

---

1. المصدر السابق، ص 67.
2. المصدر السابق، ص 93.
3. الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرّحمن بن محمّد، (1983م)، ص 8.
4. المصدر السابق، ص 10.
5. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 19.
6. المصدر السابق، ص 20.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في الجملة، حيث يتمثل في الاهتمام بالأشياء الدائمة والأبدية. كما أنَّ ابن المقفع عندما يتحدث عن اللقاء مع السلطان، هنا يستعين أيضا بعنصر السجع فيقول: «**أمّا إذا ولي، فكل الناس يلقاه بالتزيين والتصنع، وكلهم يحتال لأن يثني عليه عنده بما ليس فيه، غير أن الأنذال والأرذال هم أشد لذلك تصنعًا، وأشد عليه مثابرة، وفيه تمحلًا**».[1]

إنَّ الكلمات التي تم وضع خط منقط تحتها هي المفردات المسجعة وهناك عنصر السجع بين الكلمات التي تحتها خط أيضًا، ويوجد سجع بين الألفاظ التي تحتها خطين يوجد بينها، وإنَّ استخدام هذه الايقاعات في الكلام يظهر جيدًا أن هدف المؤلف لغرض لفت انتباه القارئ إلى معنى الكلمات من خلال هذه الموسيقى، حتى يتمكن اللقارئ من ايجاد الملاءمة بين الكلمات والمعاني وبذلك استطاع المؤلف أن يخلق بشكل عام تماسكًا واتساقًا جيدًا في نثره.

وقدامة بن جعفر - من كُتَّاب القرن الرابع - يرى السجع من أوصاف البلاغة، على شرط أن يكون في موضعه وعند سماح القريحة به، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، «فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها والسجع مستغنى عنه، فأما أن يلزمه الأنسان في جميع قوله ورسائله وخطبه ومناقلاته فذلك جهلٌ من فاعله، وعيٌّ من قائله».[2]

تكرار الحرف

يمكن أن يساهم تكرار بعض الحروف من خلال معناها الدلالي الخاص في مسار النقل السريع لمعنى النص وإيجاد التساوق فيه. إذ يُشاهد هذا الأمر بجلاء في كتاب "الأدب الصغير والأدب الكبير" لابن المقفع، لاسيما حيث يقول المؤلف: «**إلبس للناس لباسين ليسَ للعاقل بدٌّ منهما، ولا عيشَ ولا مروءةَ إلا بهما: لباسَ انقباضٍ واحتجازٍ مِنَ النَّاسِ، تلبسهُ للعامةِ فلا يلقونكَ إلا متحفظًا متشددًا متحرزًا مستعدًا. ولباسَ انبساطٍ واستئناسٍ، تلبسهُ للخاصةِ الثِّقاتِ مِن أصدقائك... وأهل هذهِ الطبقةِ، الذين هم أهلها، قليلٌ مِن قليلٍ حقًّا. لأنَّ ذا الرأي لا يدخلُ أحدًا من نفسهِ هذا المدخل إلا بعد الاختبارِ والتكشفِ والثقةِ بصدقِ النصيحةِ ووفاء العهدِ**».[3]

وفيما يتعلق بموضوع كثرة تكرار بعض الحروف في النص المذكور ينبغي القول؛ قد تكرر «حرف «القاف» و«السين» و«النون» في هذا النص بشكل واضح للغاية، وحول دلالة هذه الحروف يتعين القول؛ «يدّل حرف القاف على الصلابة والقوة والشدة»[4] إذ يقود في نهاية المطاف تكرار حرف "القاف" في أقسام مختلفة من الفقرة المذكورة ودلالته على مفهوم الشدة والصلابة، يقودُ القرّاء إلى إدراك هذا المعنى. كما أنه بالنظر إلى دلالة حرف

---

[1]. المصدر السابق، ص 48.
[2]. بن جعفر، قدامة، (1995م)، ص 82.
[3]. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 88.
[4]. العلايلي، عبدالله، (1988م)، ص 64.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

«السين» على مفاهيم مثل «الانتشار، القلق، والتحرك والشدّة»[1] يمكن ملاحظة قلق الكاتب الشديد وجهده المبذول لتحفيز القرّاء لجهة إدراك المفهوم السائد في النص، كما أنه يرمي إلى نشر هذا المفهوم وإيصاله للقرّاء و«لكون تكرار حرف «السين» يعبر عن استمرار إحساس داخلي»[2] فقد تحقق هذا الاستنباط.

كما أن حرف «النون» يضطلع بدور هام في خلق النسيج الموسيقي لهذا النص وذلك بسبب مرونة نطقه وسهولته، فضلًا عن تموضعه في نسيج كلامي يمكن العثور فيه بكثرة على كلمات لها مدلول الحزن والترح. كما أنه يتمتع بتساوق خاص مع شعور المؤلف بالحزن والقلق المهمين على النص، ويتجلى الاستخدام الكثير لحرف «النون» في الجمل التالية، حيث يقول المؤلف: «**إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية، فاعلم أنك قد ابتليت معه، إما بالمؤاساة، فتشاركه في البلية، وإما بالخذلان، فتحتمل العار**».[3]

كما أنه فضلًا عن حرف «القاف» و«السين» و«النون» ثمة حرف «اللام» الذي يُعد من الحروف التي حَفَلَ بها المؤلف للغاية ويمكن مشاهدة مثاله في الجملة التالية: «**فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها، فأجمل، فلعل الإجمال يسعك، لقلة الإجمال في الناس**».[4] وبما يتعلق بدلالة الحروف يتعين القول إن حرف اللام يعد من الحروف التي يُسهل للغاية سماعها وتُطرب الأذن له، وبالنظر إلى الخصائص التي تتمتع بها هذه الحروف مثل «الالتزام والالتصاق والملكية والرخاوة والتماسك والكثرة»،[5] يتعين الإقرار أن المؤلف قد جمع كل هذه الخصائص مع بعضها، وحرر القارئ من خلال استخدام هذا الحرف اللين والسلس، من المفهوم السائد في النص وحثه على قراءته.

تكرار الكلمة

ذكر كلمةٍ بشكل متكرر يمكن أن يحدث لأسباب مختلفة، ويفضي ذلك في كل الأحوال إلى المحافظة على تساوق النص. ويمكن مشاهدة مثال هذه الظاهرة في الجمل التالية من كتاب "الأدب الكبير": «**فكان صاحب الدين منهم أبلغ في أمر الدين علمًا وعملًا من صاحب الدين منا**»[6] وهذا ينطبق مع تعريف ابن الأثير للتكرار حيث يقول: «هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً كقولك لمن تستدعيه (أسرع، أسرع)، فإن المعنى مردد واللفظ واحد.»[7] إذ إن تكرار «صاحب الدين» في هذا المثال يجتذب انتباه القارئ ويدفعه إلى التفكير لفهم معنى هذا الكلام، فيكشف الاتساق الدلالي ومحورية الكلام. وشكل مفهوم الحق أحد المفاهيم التي حظيت باهتمام بالغ في هذا الكتاب، حيث

---

1. المصدر السابق، ص 63-64.
2. بشر، كمال، (2000م)، ص 414.
3. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 88.
4. المصدر السابق، ص 88.
5. أنيس، ابراهيم، (1999م)، ص 58.
6. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 19.
7. ابن الأثير، (2009م)، ص 345.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يُذّكر المؤلف بأهميته من خلال تكرار هذه الكلمة في الجملة التالية، إذ يقول: «**أصل الأمر في الجود ألا تضن بالحقوق على أهلها، ثم إن قدرت أن تزيد ذا الحق على حقه، وتطول على من لا حق له، فافعل، فهو أفضل**».[1] أفضى تكرار كلمة «الحق» في هذا النطاق إلى استقطاب اهتمام القارئ لمفهوم الكلام وحافظ على اتساقه اللفظي والدلالي. كما نلاحظ في موضع آخر تكرار كلمة «رضى»؛ حيث يقول المؤلف: «**لتكن حاجتك في الولاية إلى ثلاث خصال: رضى ربك، ورضى سلطان، إن كان فوقك، ورضى صالح من تلى عليه**».[2] ويبدو جليًا للغاية أن تكرار هذه الكلمة يشير بقوة إلى الأهمية التي يوليها المؤلف لها، ليستقطب من خلال تدوير كلامه حول محور الرضى اهتمام القراء إلى هذه المقولة، ويحافظ بشكل جيد على الاتساق الدلالي لكلامه. وفي موطن آخر يتحدث ابن المقفع عن السكر، ويُميزُ محورية كلامه عن طريق تكرار هذه الكلمة مرات عدة، حيث يقول: «**تحزر من سكر السلطان، وسكر المال، وسكر العلم، وسكر المنزلة، وسكر الشباب، فإنه ليس من هذا شيء إلا وهو ريح جنة تسلب العقل، وتذهب بالوقار، وتصرف القلب، والسمع، والبصر، واللسان إلى غير المنافع**»[3] ويرمي من وراء هذا الكلام مستعينًا بعنصر تكرار الكلمة إلى منح كلامه انسجامًا وتناسبًا، وذلك كي يظفر القارئ بعد قراءته بفهم كامل لمقصد المؤلف بكل يسير وسهولة. وفي هذا السياق تكررت كلمة «سورة» في الجمل التالية: «**احترس من سورة الغضب، وسورة الحمية، وسورة الحقد، وسورة الجهل**».[4] وجاء هنا تكرار كلمة سورة تأكيدًا على توقي المبالغة والافراط وتجنبها في أي مجال، إذ منح تكرار هذه الكلمة لأربع مرات كلام المؤلف نغمًا خاصًا، وفضلًا عن خلق الموسيقى، فقد ضاعف من اتساقه الدلالي أيضًا، وحذر القراء. فبهذا الأسلوب يُضاعف الأديب المتحلي بذوق رفيع بشكل واعٍ من مثالية التأثير وخلق الصور وتلقين المشاعر ونقل رسالته في النص. حيث «يشكل تكرار الكلمة أحد العناصر المؤثرة في خلق الموسيقى وبالتالي الاتساق في النصوص الذي يتسبب في تعاظم الوحدة بين أجزاء الكلام».[5]

وفي سياق ترغيب الناس بالمفاهيم الأخلاقية الحسنة، يقول ابن المقفع: «**فليكن ما تعامل به الحسد أن تعلم أن خير ما تكون حين تكون، مع من هو خير منك، وأن غنمًا حسنًا لك أن يكون عشيرك، وخليطك، أفضل منك في العلم، فتقتبس من علمه، وأفضل منك في القوة، فيدفع عنك بقوته، وأفضل منك في المال، فتفيد من ماله، وأفضل منك في الجاه، فتصيب من حاجتك بجاهه، وأفضل منك في الدين، فتزداد صلاحًا بصلاحه**»[6] ففي هذا المثال جاء تكرار «أفضل منك» للتأكيد على أنه يتعين عليكَ أن تجالس من هو أفضل منك، وبعبارة أخرى يحث القارئ على معاشرة هؤلاء الأشخاص ليلمس نتائجها الإيجابية في حياته. والتّكرار في الأمثلة التي ذكرناها

---

1. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 23.
2. المصدر السابق، ص 29.
3. المصدر السابق، ص 74.
4. المصدر السابق، ص 95.
5. الغرفي، حسن، (2001م)، ص 48.
6. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 99.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أعلاه، هو مظهر آخر من مظاهر الاتساق، وقد عرّفه "محمد خطابي" على أنّه: «شكل من أشكال الاتساق المعجمي، يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرًا مطلقًا، أو اسمًا عامًا، ومن هنا نفهم أنّ علاقة التكرار هي من العلاقات النّصية ذات الترابط اللفظي.»[1]

التقديم والتأخير

أفاد ابن المقفع من عنصر التقديم في سياق التحفيز متأسيًا بالقدماء، حيث قال: «**وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم، فيكون كأنه إياهم يحاور، ومنهم يستمع، وآثارهم يتبع**»[2] فقد قُدمت في هذه الجمل الكلمات الموضوع تحتها خط، وذلك بسبب أهميتها، ودأب المؤلف جهده مستعينًا بهذا العنصر حتى يوجه خط المسير الفكري والعقلي للقارئ نحو المفاهيم الموجودة فيها، وفضلًا عن التساوق في كلامه، يعمد إلى تنظيم عقلية القارئ بأمثل طريقة وأكثرها تأثيرًا. وتمثلت إحدى الحالات المثيرة للاهتمام في مقولة التقديم هناك، في تقديم ابن المقفع جواب الشرط في جمل عدة على فعل الشرط، حيث يقول: «**إنك لا تأمن أنفة الملوك إن أعلمتهم، ولا تأمن عقوبتهم إن كتمتهم، ولا تأمن غضبتهم إن صدقتهم، ولا تأمن سلوتهم إن حدثتهم**».[3] وفي هذه الجمل يبدو أن المؤلف يرمي إلى إخبار القارئ بنتيجة العمل مجددًا، ويبدو أنه لا يلقي بالًا كبيرًا لذكر جملة الشرط، ربما يمكن القول عندما يُذكر جواب الشرط قبل جملة الشرط، ففضلًا عن أن النص يحقق تساوقًا من الناحية المفهومية، سوف يسير عقل القارئ في جهة خاصة أيضًا، ولن ينشغل بمسائل هامشية أو بالشروط. وتتمثل أحد الأمثلة الأخرى التي نلاحظ فيها عنصر التقديم، حيث يقول المؤلف: «**ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحنُّنَك، ولعدوك عدلك وإنصافك**».[4] هنا يقدم ابن المقفع كلماتٍ محددة يُفهم القارئ أنه من المهم أن نعرف لمن نبذلُ ونعطي ونقوم بعملٍ ما؛ وبتعبير آخر؛ إن مخاطبنا والطرف القابع أمامنا أهم من العمل الذي نقوم به لأجله. وهذا التقديم يجعل حواس القرّاء متيقظة ليعرفوا كيفية التصرف في مواضع مختلفة، ومدى القيمة والأهمية التي يولونها لأي شخص. وفي موضع آخر يلجأ المؤلف إلى الاستعانة بعنصر التقديم بهدف خلق اتساق في كلامه واجتذاب اهتمام القارئ إلى مقولة الموت، حيث يقول: «**إنّ في كثرة ذكر الموت عصمةً من الأشر، وأمانًا بإذن الله من الهَلَع**».[5] ففي هذه الجملة أفضى بوضوح تقديم جملة «في كثرة ذكر الموت» والتي هي خبر «إن» على اسمها أي «العصمة» إلى حدوث الاتساق العقلي للقارئ، وحدد جهة النص بشكل جيد أيضًا، وبيّن أن محورية هذا الكلام تدور حول مفهوم استذكار الموت. لأن «هذا الأسلوب اللغوي بما يحدثه من تغييرات وتحولات في طريقة الاسناد وترتيب الكلمات والعبارات، يحرر النص

---

[1]. خطابي، محمّد، (1991م)، ص 12.
[2]. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 21.
[3]. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 99.
[4]. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 73.
[5]. المصدر السابق، ص 148-149.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

من الرتابة والركود، ويحفزُ القارئ على متابعة قراءة الكلام بهدف اكتشاف أهداف المتحدث الخاصة».[1] وفي موضع آخر يُظهر المؤلف للقارئ من خلال تقديم مفهوم الأدب وذكر جملة «**بالأدب تَعمُرُ القلوبُ، وبالعلمِ تُستَحكمُ الأحلام**»[2] أن المهم في النص هو الأدب، وينبغي الاهتمام كثيرًا بهذا المفهوم في السلوك والحديث اليومي حتى يتطور عقل المرء وينضج.

التقارب الدلالي

يضطلع هذا العنصر بدور كبير في خلق الاتساق في مختلف النصوص، كونه يجتذب عقل القارئ إلى كلمات وتعبيرات ترتبط بالمفهوم المراد في الجملة، على سبيل المثال نقرأ في الجملة التالية: «**وأصل الأمر في صلاح الجسد ألا تحمل عليه من المآكل والمشارب**».[3] وكما يبدو فالكلمات التي وضع تحتها خط تتمتع بتقارب دلالي وعلاقة إيحائية، وتم المحافظة على محورية الكلام المتأتي من الاتساق الموجود فيه بشكل جيد، إذ يسع القارئ بكل يسر وسهولة إدراك المفهوم السائد في النص. ويتجسدُ مثال ذلك في الجملة التالية، حيث يقول المؤلف: «**أصل الأمر في البأس والشجاعة ألا تحدث نفسك بالإدبار**».[4] ناهيك عن أنه في هذه الجملة يفطن القارئ من خلال ملاحظة العلاقة الإيحائية بين الكلمتين المحددتين إلى أي مقولة يتعين عليه أخذها بعين الاعتبار بالنسبة للشجاعة والبأس وما ينبغي أن يراعيه. «**وأعلم أن من العجب أن يبتلى الرجل بالسلطان، فيريد أن ينتقص من ساعات نصبه وعمله، فيزيدها في ساعات دعته، وفراغه، وشهوته، وعبثه، ونومه. وإنما الرأي له والحق عليه أن يأخذ لعمله من جميع شغله، فيأخذ له من طعامه، وشرابه، ونومه، وحديثه، ولهوه، ونسائه.**»[5] نشاهد في أحد نصوص هذا الكتاب الأخرى أن ثمة مجموعتين من الكلمات تقوم بينها علاقة إيحائية، المجموعة الأولى هي المحددة بخط مرسوم تحتها ومجموعة الكلمات الثانية جرى تمييزها بوضع خطين أسفلها. فإذا ألقينا نظرة على مفهوم القالب في هذه الكلمات نلاحظ بوضوح كثرة استخدام كلمات تدور من ناحية الدلالة حول مفهوم ومقولة واحدة، وتكشفُ بوضوح أن المؤلف يرمي إلى منح كلامه اتساقًا، ويلفت عن طريق ذلك عقل القارئ إلى مفاهيم خاصة تتحدد من خلال هذه الكلمات. إذ نلاحظ في الجملة التالية هذه العلاقة بين الكلمات، حيث يقول المؤلف: «**اعرف الفضل في أهل الدين والمروءة في كل كورة، وقرية، وقبيلة، فيكونوا هم إخوانك وأعوانك وأخدانك وأصفياءك وبطانتك وثقاتك وخلطاءك**».[6] يكشف استخدام الكلمات الموضوع تحتها خط إلى جانب بعضها بوضوح أن المؤلف يرغب أن يقول للقارئ أن أهم الأشخاص في حياتك هم أخوتك وأصدقائك المقربين،

1. أبو موسى، محمّد، (1996م)، ص 312.
2. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 171.
3. المصدر السابق، ص 22.
4. المصدر السابق، ص 23.
5. المصدر السابق، ص 27.
6. ابن المقفّع، (د.ت)، ص30.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وباختصار هم أشخاص مقربون منك سواء برابطة الدم والنسب أو من ناحية الفكر والعقيدة والمودة. وهذا التساوق الدلالي في الكلام فضلًا عن أنه يحدد محورية الاتجاه الفكري للمؤلف، يُذكر القارئ أيضًا بالأشخاص الذين يتعين عليه أن يوليهم اهتمامًا خاصًا في الحياة. وفي موضع آخر نشاهد في هذا الكتاب أن المؤلف يسوق كلامه حول مفهوم سلبي، ويقول: «**واعلم أن الناس يخدعون أنفسهم بالتعريض، والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم، ومساويهم، ونقيصتهم**».[1] ويبدو أنه يروم أن يلفت انتباه الناس إلى هذا الأمر بأنه ينبغي عليهم في علاقاتهم بالآخرين أن يولوا اهتمامًا كبيرًا بالمساوئ والمثالب الموجودة في شخصياتهم. وإذا نظرنا جيدًا سنلاحظ أن استخدام كلمات تحمل دلالة سلبية في هذا الكلام فضلًا عن أنه جعل النص سلسلة من الكلمات المترادفة، يظهر أنه منحه تساوقًا أيضًا، وجعل كلامه من ناحية الدلالة يتمحور حول مبدأ واحد ومنحه تناغمًا وتساوقًا، حيث « كلما اخترنا إحدى كلمات النص، نرى أنه بقراءة تلك الكلمة يتبادر إلى الذهن عدد كبير من الكلمات ذات العائلة والدلالة الواحدة؛ على سبيل المثال كلمة "الكتابة" تشكل تداعيًا لكلمات مثل "الكاتب" و"القلم" و"المكتب" و"الكتاب" و"الورق" و"المداد" وسائر المفردات المتماثلة في الدلالة».[2]

ومن خلال الأمثلة التي ذكرناها أعلاه نجد أنَّ المؤلف قد نجح في تحقيق الاتساق والدقة في التعبير من خلال استخدام مقومات التقارب الدلالي في النص، حيث انعكس التقارب الدلالي إيجابًا على النص من خلال ترابط الكلمات، وتلاحم معانيها الجزئية، وتحقيق المزيد من الاتساق.

الاستبدال

يُعد الاستبدال المظهر الثاني من مظاهر الاتساق، ويختلف عن الإحالة فهو يتم على المستوى النحوي المعجمي، وهو استبدال عنصر بعنصر آخر، ولا يتم تأويل العناصر المستبدلة إلا بالرجوع إلى ما سبقها.[3] ونجد مثالا لهذا المظهر في النص التالي من كتاب "الأدب الصغير والأدب الكبير" حيث يقول المؤلف: « **وأقل الأمورِ احتمالًا للضياعِ الملك، لأنه ليس شيءٌ يضيع، وإن كان صغيرًا، إلا اتصل بآخر يكون عظيمًا**».[4]

في المثال أعلاه نجد أنَّ المؤلف استبدل كلمة "الملك" بكلمة "آخر" في الجملة التالية: "إلا اتصل بآخر يكون عظيمًا". واستخدم المؤلف كلمة "آخر" بدلًا من "الملك" لأسبابٍ لغوية وأسلوبية تودي إلى المزيد من الاتساق في النص، لأنَّ تكرار كلمة "الملك" في جملتين متتاليتين قد يجعل النص ثقيلًا على القارئ، واستخدام كلمة "آخر" يُضفي تنوعًا على النص ويُجنّب التكرار، كما أنَّ إخفاء كلمة "الملك" في الجملة الثانية يُثير فضول القارئ ويجعله يُفكر في المعنى المقصود.

---

[1]. المصدر السابق، ص 131.
[2]. قصّاب، وليد ابراهيم، (2009م)، ص 127.
[3]. نيازي، شهريار و زينب قاسمي أصل، (2018م)، ص62.
[4]. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 27.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مراعاة النظير

استخدام كلمات متساوقة يضطلع بدور كبير في خلق الانسجام والتناغم في النص برمته، وهذا الأمر لا يخفى على أحد، ومثال هذه الحالة بادي بوضوح في الجملة التالية من كتاب "الأدب الصغير والأدب الكبير": «**اعمل في إرضائه عنه في رفق ولطف**».[1] وهنا منح المؤلف مستعينًا بكلمتي «رفق» و«لطف» المتساوقتين انسجامًا لنصه. ويشكل هذا الأمر إحدى الطرق المتداولة كثيرًا والسهلة والتي ترمي إلى خلق تناسب في الكلام. وفي نطاق آخر ذكر ابن المقفع مجموعة من الكلمات تتساوق اثنتين مع اثنتين أو ثلاثة مع ثلاثة، وبهذه الطريقة يُفهم القارئ حول أي محور يدور كلامه، والمعنى الذي يعبر عنه نصه المقصود. ومثال هذا الأمر ماثل، حينما يقول: «**ولكل رجل من الملوك، أو ذي هيئة من السوقة، أليف وأنيس، قد عرف روحه، واطلع على قلبه، فليست عليه مؤونة في تبذل يتبذله عنده، أو رأي يستبين منه، أو سر يفشيه إليه، غير أن تلك الأنسة، وذلك الإلف، يستخرج من كل واحد منهما ما لم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدد، ولو التمس ملتمس مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته، ومؤانسته، ومناسمته**».[2] وبما أنَّ «مراعاة النظير: الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها تناسبٌ وائتلاف ما، لا على سبيل تقابل التناقض أو التضاد أو التَّضايُف، الذي سبق في الطباق، ويكون هذا التناسُب بين معنيَيْن فأكثر، فإذا كان هذا التناسب بين أول الكلام وآخره سُمّي: "تَشابه الأطراف"»،[3] فمن خلال إعمال الدقة قليلًا في هذه الجمل والكلمات المحددة، يمكن الاقرار بسهولة إلى أي مدى يتحلى هذا الكلام بالتساوق من ناحية الموضوع، وأنَّ المؤلف نجح عن طريق استخدام كلمات متناسبة من الناحية الدلالية، في منح كلامه وكذلك خط مسير القارئ نوعًا من التساوق، لينقل مستعينًا بهذه الكلمات المعنى الذي يريده بسلاسة. ثمة مثال آخر حول ذلك، يتجسد في استخدام كلمات يقوم بينها مراعاة النظير، حيث يقول المؤلف: «**وأن من خير الأعوان على ذلك السخاء والكرم**».[4] وهنا استخدام كلمتي «السخاء» و «الكرم» فضلًا عن خلق تساوق في الكلام، يؤكد على المعنى الموجود الذي يحض على العطاء والكرم. كما أنه يُشاهد مثال استخدام كلمات بينها مراعاة النظير في جملة: «**فالاتئاد الاتئاد! والتثبت التثبت**»[5] حيث أن كلا الكلمتين المكررتين تعنيان التأني والتأمل والتروي في التفكير وإبداء الرأي، وجاء تكرار تلك الكلمات للتأكيد، ساهم استخدام عنصر مراعاة النظير إلى جانب مقولة التكرار بشكل كبير في تعزيز التساوق الدلالي وكذلك التناغم أيضًا. وفي نهاية المطاف

---

[1]. المصدر السابق، ص 58.
[2]. المصدر السابق، ص 65-66.
[3]. بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، عبد الرحمن، (١٩٩٦م)، ص 383.
[4]. ابن المقفّع، (د.ت)، ص 84.
[5]. المصدر السابق، ص 86.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

في جملة: «**لا تدع، مع السكوت عن شتم عدوك، إحصاء مثالبه ومعايبه، واتباع عوراته**»[1] أفاد المؤلف من ثلاثة كلمات مترادفة، حتى يُظهر التساوق اللفظي والدلالي الموجود في كلامه، ويُذكر القارئ أيضًا بما عليه أن يبديه من رد فعل حين تعامله مع العدو، ويكشف استراتيجيته في هذا الموقع.

النتيجة

- تؤكد دراسة كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير أن المؤلف قد سعى جادا في توظيف العناصر البلاغية والصور الأدبية في كتابه توظيفا شاملا كليا.
- لم يكن هذا التوظيف عاريا من الأغراض الدلالية؛ بحيث يركز على الشكل الظاهري فقط، بل كان له جوانب مضمونية.
- لقد وظف الشاعر الكثير من الصور البلاغية والعناصر الأدبية ولكن أهم هذه العناصر هي: الإرجاع والجناس والسجع والتكرار بصوره المختلفة والعلاقة الإيحائية ومراعاة النظير.
- يمكن أن يلمس القارئ علاقة إبن المقفع في كتابه بالموسيقى الصوتية للحروف والكلمات، و قد أضافت الموسيقى للنص إتساقا وتناغما قويا ملموسا عند المخاطب.
- لقد بحث إبن المقفع في كتابه عن الحروف التي تحمل في طياتها نوعا من النغم والموسيقى ولو الخفيفة؛ كي يجذب بذلك إنتباه القاري لبعض من الكلمات وهو ما يلفت نظر المخاطب من الظاهر إلى باطن الكلمات. منها تعمد تكرار حرف "اللام" التي تحمل نوعا من الموسيقى الجميلة، ومنها تعمد ذكر حرف " القاف " التي تكمن فيها نوعا من الضرب الموسيقي الجميل والذي تطرب الأذن له، وكذلك في حروف أخرى.
- لقد نقل إبن المقفع مفاهيمه ومضامينه في قالب كلمات وجمل موزونة متساوقة من حيث الدلالة مع بعضها البعض بشكل منسجم للقارئ وهذا الأمر أضفى على النص تناغما دلاليا بين جميع العبارات الموجودة.
- لم يكتفي الكاتب بالقدرة الموسيقية للكلمات والعبارات فحسب بل بحث عن مختلف الأدوات اللغوية لتأليف كتابه الشهير هذا ومن أبرز هذه الأدوات هي : الإحالة إلى الضمير أو إسم الإشارة و هذا كي يخلق نوعا من الإتساق بين نصوصه المختلفة.
- تبين لنا دراسة هذا الكتاب أنه كلما كانت العبارات أكثر إتساقا مع بعضها البعض وكلما تحكم البناء وتقوى؛ كلما زادت سهولة فهم العبارات عند القارئ. ولهذا يعد هذا الكتاب من أبرز الأعمال الأدبية التي تتمع بالوضوح والسهولة والسلاسة.

[1]. المصدر السابق، ص 102.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المصادر والمراجع

أ. المؤلفات

1. ابن الأثير، (2009م)، **جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة**، محمد زغلول سلام، الإسكندرية، منشاة المعارف.
2. ابن المقفّع،(د.ت)، **الأدب الصغير والأدب الكبير**، شرح وتقديم: إسماعيل اليوسف، دمشق، دار كرم.
3. أبو موسى، محمّد، (1996م)، **خصائص التراكيب**، الطّبعة الرّابعة، القاهرة، مكتبة وهبة.
4. أحمد بدوي، أحمد، (1996م)، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
5. أنيس، ابراهيم، (1999م)، **الأصوات اللغوية**، الطّبعة الرّابعة، القاهرة، منشورات مكتبة الأنجلو المصرية.
6. بشر، كمال، (2000م)، **علم الأصوات**، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
7. بن جعفر، قدامة، (1995م)، **نقد النثر**، بيروت، دار الكتب العلمية.
8. بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، عبد الرحمن، (١٩٩٦م)، **البلاغة العربية**، الطبعة الأولى، بيروت، الدار الشامية.
9. الجرجاني، عبدالقاهر بن عبدالرّحمن بن محمّد، (1983م)، **أسرار البلاغة**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار المسيرة.
10. الجناجي، حسن بن إسماعيل، (1981م)، **من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القادر الجرجاني**، القاهرة، مركز النخب العلمية.
11. خطابي، محمّد، (1991م)، **لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب**، المغرب، المركز الثقافي العربي.
12. سيبوية، **الكتاب**، (1973م)، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، ج1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
13. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، (1998م)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، المحقق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى، الجزء 1، بيروت، دار الكتب العلمية.
14. شريم، جوزيف ميشال، (1984م)، **دليل الدّراسات الأسلوبية**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
15. عفيفي، أحمد، (2001م)، **نحو النص**، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
16. العلايلي، عبدالله، (1988م)، **تهذيب المقدمة اللغوية**، بيروت، دار السؤال.
17. الغرفي، حسن، (2001م)، **حركية الإيقاع في الشّعر العربي المعاصر**، بيروت، دار إفريقيا للشّرق.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

18.الفقي، صبحي إبراهيم، (2000م)، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

19.قصّاب، وليد ابراهيم، (2009م)، **مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية إسلاميّة)**، دمشق، دار الفكر.

20.ناظم، حسن، (2002م)، **البنى الأسلوبية (دراسة في أنشودة المطر للسياب)**، المغرب، المركز الثقافي العربي.

21.النجّار، نادية رمضان، (2013م)، **علم لغة النص والأسلوب بين النظرية والتطبيق**، الإسكندرية، مؤسسة حورس الدولية.

22.نيازي، شهريار و زينب قاسمي أصل، (2018م)، **نماذج تقويم الترجمة (على أساس اللغة العربية)**، طهران، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر.

23.وحيديان كاميار، تقي، (2006م)، **بديع از ديدگاه زيبايى شناسى**، طهران، انتشارات سمت.

24.Halliday & Hasan, (1976), Cohesion in English, London, Longman.

ب: الأطروحات

1. مقرع، أمينة وسعاد مراد وثليثة بليردوح، (2017م)، «الاتساق والانسجام في خطبة القاصعة للإمام علي رضي الله عنه»، رسالة ماجستير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة العربي بن مهيدي – أمّ البواقة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

ج: المقالات

1. ابنيان، محمّد وسهيل خصاونة وفرحان القضاة، (2011م)، «أثر التكرار في شعر صاحب بن عبّاد»، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**، المجلّد 8، العدد 1، صص 165-184.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)